

دور القيم الإيمانية والأخلاقية في تعزيز أمن الأسرة

The role of faith and moral values in enhancing family security

العطري بن عزوز*

جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر be.elottri@lagh-univ.dz

تاريخ الإرسال: 2022/03/12 تاريخ القبول: 2022/04/21 تاريخ النشر: 2022/06/05

الملخص:

يرتبط أمن الأسرة ارتباطا وثيقا بعقيدة المجتمع ومدى تفعيل دورها في الأسرة ، باعتبارها صمام أمان، ولا يمكن أن يتحقق ذلك بدون عقيدة وإيمان راسخ يحافظ على مقوماتها بالإضافة إلى الجانب الأخلاقي الذي يحافظ على مسار قيم الأسرة والمجتمع ، ومن هنا تأتي أهمية معالجة هذا الموضوع، حيث تهدف الدراسة إلى ترسيخ الأمن الأسري والمحافظة على مقوماته في ظل ما أفرزته العولمة من مخاطر تهدد استقرار الأسرة، ومن ثم المجتمع بأسره، وذلك من خلال تفعيل دور القيم الإيمانية والأخلاقية، وتحديد مفهوم الأمن الأسري وأهميته وآلياته ومجالاته، وسبل تعزيزه، من خلال معالجة ومناقشة بعض القضايا المطروحة في واقع الأسرة اليوم، والمشاكل التي تعاني منها، وكيفية علاجها من خلال تفعيل دور العقيدة والأخلاق، وفي الخاتمة نعرض النتائج المتمثلة في ضرورة الاهتمام بأمن الأسرة ووضع استراتيجية عملية عاجلة كإنجاز مواقع للتواصل الأسري اسلامي، وتفعيل الأفكار العقدية والأخلاقية بكل الوسائل المعنوية والمادية، ووضع الحلول للمعوقات الواقعة والمتوقعة.

الكلمات المفتاحية: الأسرة، الإيمان، الأخلاق، الأمن.

Abstract:

The security of the family is closely related to the community's belief and the extent to which its role in the family is activated, as it is a safety valve. The study aims to consolidate family security and preserve its components in light of the risks that globalization has created that threaten the stability of the family, and then society as a whole, by activating the role of faith and moral values, and defining the concept of family security and its importance, mechanisms and fields, and ways to enhance it, by addressing And a discussion of some of the issues raised in the reality of the family today, the problems it suffers from, and how to treat them by activating the role of faith and morals. and material, and to develop solutions to existing and expected obstacles.

Keyword: family, faith, morals, security.

مقدمة:

لقد اهتم القرآن الكريم والسنة النبوية اهتماماً بالغاً بالأسرة وأحكامها وقضاياها التي جاءت مفصلة وواضحة المعالم، واعتبرت الشريعة الإسلامية الحفاظ على أمن الأسرة مقصداً مهماً باعتبارها الدرع الحصين أمام التحديات التي يواجهها المجتمع والأمة، في كل عصر من العصور، وخاصة اليوم في عصر العولمة والحداثة وما بعدها، والتي تستهدف الهوية وثقافة المجتمع وأصالته وانتمائه العربي الإسلامي، من خلال وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام، وخاصة في جانبها الفكري والقيمي بحيث يلاحظ التغيير التدريجي للعادات والتقاليد والأعراف سواء تلك المستمدة من عادات المجتمع أو تلك المستمدة من تعاليم الإسلام، وأمست تركز عادات الغرب ومعتقداتهم، ومناسباتهم الدينية مما يشكل خطورة الاستغراب

لذلك فمن الضروري التفكير في وضع الأسس العقدية والأخلاقية للحفاظ على أمن الأسرة وكيانها، ثم وضع استراتيجية عملية واقعية لتنفيذ تلك الأسس في واقع الحياة الأسرية والاجتماعية، ونشر الوعي الفكري والتعاون والتكامل وتحمل المسؤوليات المتبادلة الذي سيضفي سباجاً أمنياً للحفاظ على أمن الأسرة واستقرارها.

أهمية الموضوع:

نستنتج مما ذكرنا سابقاً أن الحفاظ على أمن الأسرة له أهمية بالغة في الحفاظ على كيان المجتمع والأمة، ولذلك من الضروري التفكير في الأسس والعوامل المساعدة على أمن الأسرة، ولعل أهم هذه الأسس هي تفعيل دور القيم الإيمانية والأخلاقية داخل الأسرة، نظراً لما لها من علاقة وطيدة بالصحة النفسية والعقلية والوجدانية وتأثير ذلك على الاستقرار الفكري والقيمي والسلوكي.

أهداف الموضوع:

- 1- تحقيق الأمن الفكري والقيمي للأسرة.
- 2- تحصين الأسرة والبيت من الآفات الاجتماعية، والتحديات الخارجية.
- 3- تحقيق السكن والاستقرار في الأسرة والبيت، استناداً لقوله تعالى: " **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا** " [النحل: 80]

إشكالية الموضوع:

إشكالية الموضوع تتمثل في الإشارة إلى القيم الإيمانية والأخلاقية التي تحافظ على أمن الأسرة واستقرارها، وأهم السبل التي تعزز تطبيقها في الواقع، وتفعيل دورها في الأسرة والمجتمع من أجل تحصينها من الصدمات والتحديات التي تواجهها في زمن العولمة والحداثة وما بعدها. اذن فما هي هذه القيم الإيمانية والأخلاقية؟ وكيف السبيل إلى تفعيل دورها في الأسرة؟ وما هي أهم المعوقات المتوقعة أو الواقعة؟ وسبل تجاوزها؟

أسباب اختيار الموضوع:

لعل من أهم الأسباب لاختيار هذا الموضوع هو الوضع الذي آلت إليه الأسرة في هذه الأيام من تفكك أسري، ومظاهر غريبة عن المجتمع المسلم بسبب وجود عدة عوامل مؤثرة داخل الأسرة وخارجها، ترجع في مجملها إلى استهداف المناعة الذاتية لأفراد الأسرة من خلال ضعف الوازع

الديني والوعي بخطورة الوضع، والادمان على وسائل التواصل الاجتماعي، وما تبثه القنوات التلفزيونية من برامج تستهدف الروابط الأسرية، لهذه الأسباب وغيرها، أردت أن معالجة هذا الموضوع في محاولة لوضع الأسس الهامة التي تعمل على تحصين الأسرة و تحافظ على أمنها واستقرارها.

منهج البحث:

طبيعة الموضوع تحدد المنهج المتبع في معالجته، ولأن البحث يتعلق بدور القيم الإيمانية والأخلاقية في أمن الأسرة، فقد استخدمت المنهج الوصفي والتحليلي من خلال تحليل الأفكار وتوضيح مفاهيمها وشرح معانيها، والمنهج الوصفي بوصف الحالة التي آلت إليها الأسرة وأهم التحديات التي تواجهها انطلاقاً من واقع الحال، بالإضافة إلى المنهج الاستقرائي والاستنباطي، وذلك باستقراء النصوص وتحليلها وتفكيك المشاكل وأسبابها ثم تجميع الأفكار ومعالجة الإشكالية واستنباط الحلول من النصوص الشرعية، ووضع استراتيجية دقيقة ومحكمة وواقعية لحل الإشكالية.

خطة البحث:

خطة البحث تتناول مقدمة تتضمن تمهيد للموضوع وبيان أهميته وأهدافه واشكاليته، وأسباب اختياره، والمنهج المتبع في الدراسة، ثم يأتي العرض المرقم تسلسلياً يتناول المفاهيم والمضامين المتعلقة بالقيم الإيمانية والأخلاقية وعلاقتها بأمن الأسرة، ومناقشة الوسائل الحديثة التي تهدد أمن الأسرة في عصر العولمة والحداثة، ثم أحاول معالجة الإشكالية من خلال اقتراح السبل والآليات الممكنة التي تعزز القيم الإيمانية والأخلاقية وتحقق الأمن الأسري، مع مناقشة المعوقات وسبل تجاوزها، وفي الخاتمة نعطي ملخصاً للموضوع وبعض النتائج المهمة والاقتراحات.

1. مفاهيم ومضامين متعلقة بالقيم الإيمانية والأخلاقية وعلاقتها بأمن الأسرة.

1.1. مفهوم القيم الإيمانية والأخلاقية.

1.1.1. القيم الإيمانية في اللغة :

القيم: من القيمة ، استقمته ، ثمنته ، واستقام : اعتدل¹ وقال ابن فارس : أصلها قَوْمٌ " القاف والواو والمقيم صحيحان, يدل أحدهما على جماعة ناس - قوم وأقوام - وربما استعير في غيرهم, والآخر على انتصاب أو عزم, قام قياماً²

وقال الراغب في المفردات : القيام والقوام اسم لما يقوم به الشيء ويثبت كالعماد والسناد , لما يعمد ويسند به³. كقوله تعالى: (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا) [النساء: 5] أي التي بها تقومون قياما وقواما . بمعنى يقوم بها المعاش .

وهناك مفاهيم مرتبطة بمعنى القيم مثل : القيمة بمعنى ثمن الشيء تقول تقاوموه فيما بينهم. وما له قيمة إذا لم يدم على شيء ، والقيام : العزم ومنه قوله تعالى: " إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " [الكهف: 14] أي عزموا ، وقد يجيء القيام بمعنى المحافظة والإصلاح⁴، ومنه قوله تعالى : " الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ " [النساء: 34]

القيم الاستقامة ، ففي التنزيل العزيز : " دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا " [الأنعام: 161]، أي مستقيماً قال الزجاج : دين قويم وقوام أي مستقيم⁵ ، وأنشد ابن بري لكعب بن زهير :

فهم صرفوكم حين جزتم عن الهدى بأسيا فمهم حتى استقمتم على القيم

ولعل اقرب هذه المعاني لموضوع البحث هو الاستقامة والثبات والاستمرار على الشيء .

- والإيمانية : من الإيمان وهو التصديق ، وأصل أمن أمن بجزتين لئنت الثانية وقلبت ياء كراهة اجتماعهما وقلبت الأولى هاء⁶.

2.1.1. القيم الإيمانية في الاصطلاح :

من الصعب أن نحدد مفهوما ثابتا لمعنى القيم أو القيمة ، نظرا للتباين والتنوع في استعمالات لفظة القيمة ، والتعريفات الكثيرة لها في المفهوم اللغوي واختلاف زوايا النظر ، فنجد لها تعريفات متعددة تختلف باختلاف موضوعاتها ، فهناك القيمة الأخلاقية المتعلقة بالخير والشر والمنفعة ، وهناك القيمة العلمية المتعلقة بالتفكير العلمي الوضعي ، والقيمة الدينية المرتبطة بالوحي الإلهي ، والقيمة الفلسفية المرتبطة بالتفكير الفلسفي الميتافيزيقي ، والقيمة الرياضية والقيمة الاقتصادية وهكذا ..وما يهمنا في بحثنا هذا هو المفهوم المرتبط بالقيم الإيمانية ، وهي تلك القيم المنبثقة عن النص الشرعي المستمدة من الوحي الإلهي لتعديل سلوكات الأفراد والمجتمعات وتحدد العلاقات الثلاث ، علاقة الإنسان المؤمن بنفسه وعلاقته بخالقه وعلاقته بالناس ، وهذه العلاقات تحتاج إلى قيم متعددة ، وهذه القيم يلزمها التفعيل والتعزيز لتحقيق حياة مستقرة، وبناء مجتمع سليم ، وإيجاد أمة قوية متحضرة

فالقيم الإيمانية والأخلاقية: هي المبادئ والأحكام والأصول الثابتة المستمدة من العقيدة وتمثل الدستور الذي يحكم علاقة الفرد بربه، وهي من الثوابت التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان، والتي يجب أن يربى عليها الفرد وتظل معه طوال حياته.

القيم الإسلامية: هي المفاهيم الكلية الإيجابية الباعثة على إيجاد شعور أو مبدأ أو سلوك أو مهارة نابعة من الشريعة الإسلامية.

فالأصول والمبادئ التي يتبناها الإنسان في كل مجالات حياته، ويكون منشؤها القيم الإيمانية أو القيم الأخلاقية. تعمل على بناء الشخصية المتوازنة والمتكاملة، في جميع جوانب حياته.

2.1 مفهوم أمن الأسرة:

أمن منه سلم منه وزنا ومعنى، والأصل أن يستعمل في سكون القلب، وأمن البلد اطمأن به أهله فهو آمن⁷. والأمن ضد الخوف، قال تعالى: "الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ

خَوْفٍ" [قريش: 04] فالإطعام جاء بعد الجوع، والأمن جاء بعد الخوف. وفي حديثنا عن الأسرة فإننا نعلم أن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى للمحافظة على النوع الإنساني⁸.

3.1. علاقة القيم الإيمانية والأخلاقية بأمن الأسرة.

هناك علاقة بين العقيدة والأخلاق والأسرة، وهذه العلاقة تستمد من المفهوم العام للدين الإسلامي، الذي هو يجمع هذه المعاني الثلاث في مفهوم واحد، ولا يمكن أن يستقل أحدهما بنفسه وهو ما نفهمه من حديث شعب الإيمان، في قوله عليه الصلاة والسلام: " الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"⁹. فالأخلاق تشخص الأفكار العقدية في المجال الأسري أو المجتمعي، فالمفاهيم الإيمانية لكلمة التوحيد لها ارتباط بالممارسة السلوكية، فتحدد سلوك الفرد يتم بالفكر العقدي، فالاستخلاف الإلهي للإنسان، الذي هو بناء الحضارة لا يكون إلا بتجسيد قيم التوحيد الأخلاقية، وهذا ما أشار إليه الفاروقي " فمبرر وجود الإنسان هو طاعة الله وتنفيذ أمره، ويؤكد التوحيد أن جوهر هذه الغاية هو استخلاف الله تعالى للإنسان في الأرض، وبمقتضى الاستخلاف حمل الله تعالى الإنسان الأمانة، وفحوى هذه الأمانة الإلهية هي الوفاء بالشق الأخلاقي من المشيئة الإلهية"¹⁰ ويجب أن يتحقق كل ذلك في الأسرة التي هي لبنة المجتمع، ومنه تبنى حضارة المجتمع وتطوره، وتحقيق مراد الله تعالى في الاستخلاف في الأرض.

4.1 واقع الأسرة في ظل العولمة و الحداثة:

1.4.1. الوسائل الحديثة وتأثيرها على أمن الأسرة.

القيم الإسلامية تستغرق الحياة كلها الفكرية والسلوكية والعقدية والعبادات والنظم وغيرها ولها صلاحية البقاء في كل زمان ومكان، لكن المتتبع لبرامج التلفزيون مثلا في البلاد الإسلامية وخاصة منها العربية، يصاب بحزيمة أمل لما يشاهده من معاول الهدم التي تستهدف القيم الإسلامية وتعمل على تدميرها واستبدالها بقيم غربية تفتقر الأخلاق والدين، وتعبث بأمن الأسرة وتفكك أواصرها وتحدد وجودها، فالنفاق والكذب حل محل الصدق والفتنة، والغدر أمسى أولى من الوفاء،

والواقحة أولى من الشجاعة، والحيلة والمكر والخداع في مكان العمل والاجتهاد، وأهم وسيلة تقوم بهذا الدور هي الأفلام التي يقدمها التلفزيون سواء كانت كرتونية موجهة إلى الأطفال أو افلام حقيقة موجهة إلى الكبار، والتي تجعل الإنسان يعيش في المثالية بعيدا عن الواقع، والله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، ولكن التلفزيون شوه تلك الخلقة وقدم لنا الإنسان المتحور، والمشوه خلقيا ومصاص الدماء، والإنسان الخارق في القوة الذي يطير في الهواء ويمشي على الماء ويخترق الجبال والبحار، ويسرع خارج السحاب ويتخترق كل حجاب، وفي الواقع القرآن الكريم يقول تعالى: "وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ، إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا" [الإسراء: 37] فقد جعل التلفزيون من الحقيقة خيالا وأوهاما، وتصوير الإنسان الأمريكي الجندي القوي الذي لا يقهر، ونقل هذا التصور ليرعب الآخرين، وهكذا بقية الوسائل الأخرى التي يمارسها أفراد الأسرة عن طريق الانترنت واستعمال الهواتف النقالة، وكل هذا يعمل على تأهيل الأسرة لتقبل الأفكار الواردة من هنا وهناك، ومن ثم اعادة صياغة مفهوم الأسرة بما يحقق أهداف الآخر.

2.4.1 وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في صياغة مفهوم الأسرة:

انتشرت وسائل التواصل الاجتماعي انتشارا واسعا داخل الأسرة المعاصرة، وكان لها الأثر البالغ في مسيرتها الاجتماعية، ويقدر ما لها من ايجابيات في التواصل، لكن تحمل معها الكثير من السلبيات التي هددت أمنها، ويمكن أن نلخص أهم التأثيرات السلبية فيما يلي:

1. انتشرت العزلة والانطواء، وفقدان التواصل الطبيعي حتى في المناسبات والاعياد، وتقلصت ساعات جلوس الأسرة مع بعضها.
2. باتت تسيطر على أوقات أفراد الأسرة، وهذا يؤدي إلى قطع صلة الرحم.
3. كانت من أسباب عقوق الوالدين ، بحيث نجد الوالد مثلا يكلم ابنه وهو منهمك ومنشغل بالهاتف وما يحويه من برامج أو ألعاب أو تطبيقات التواصل الاجتماعي.

4. شاع داخل الأسرة فقدان الثقة والشك والريبة، وأدى ذلك إلى المشاكل الزوجية ومنها الطلاق والشقاق والفراق والنزاع. وفي دراسة في امريكا تبين أن الفيسبوك هو المتهم الأول في ارتفاع نسبة الطلاق بنسبة 20 % ثم تطبيق الواتساب بنسبة 40 % وهكذا بقية الوسائل الأخرى.

5. الادمان على الانترنت ووسائل التواصل ساهم في ضياع مصالح الأسرة، واهمال واجباتها.

6. الغياب الروحي والعاطفي بين أفراد الأسرة برغم الحضور الجسدي، حيث يمسك كل منهم بهاتفه في غفلة عمن يجلسون معه! و انشغال الآباء والأمهات بوسائل التواصل، والذي جعلهم يقصرون في واجبههم تجاه أبنائهم وبناتهم في التربية والتوجيه، وفي المقابل انشغل الأبناء والبنات بوسائل التواصل وقصروا مع والديهم في البر والطاعة.

7. الإنشغال بالهواتف الذكية والتطبيقات نوع من العقوق والتكاسل عن صلة الأرحام، والتي قللت من الدافع النفسي للصلة المباشرة.

8. ارتباط الأطفال بالأجهزة الإلكترونية يؤدي إلى شعورهم بالملل من الزيارات العائلية وصلات الرحم، وبالتالي يبدأ الأقارب في الشعور بشيء من القطيعة الوجدانية معهم وإن كانوا حاضرين بأجسامهم.

9- العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع تقلصت لصالح تبادل الرسائل، وحدث هذا الأمر مع انتشار الهواتف الذكية، فقد صار بعض الناس يكتفي بالاتصال الهاتفي للتهنئة ببعض المناسبات أو حتى للسلام والسؤال عن الحال.

2. السبل والآليات التي تعزز القيم الإيمانية والأخلاقية لتحقيق الأمن الأسري:

استقرار الأسرة والمجتمع والأمة لا يكون إلا بالعقيدة التي يستمد منها القيم والأخلاق والمفاهيم، والعلاج يبدأ أساسا من القاعدة العقيدية التي تصون الفرد والمجتمع وتحافظ على هويته والاحتكام إلى العقل في صياغة النظم والعلاقات الاجتماعية، ونشر الوعي والعلم الصحيح،

فالإيمان بالأصول الستة هو الأمن بحد ذاته، فلا أمن نفسي بلا إيمان، كما لا أمن صحي بلا أمن غذائي، قال تعالى " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" [إبراهيم: 35] والمعنى في الآية أن الأمن لا يمكن أن يتحقق إلا بالإيمان الصحيح الفعال. فأمن الأسرة أمر ضروري، لأنه إن لم يكن فيها الأمن، كان فيها الخوف، والخوف يؤدي إلى الانهيار، وخاصة الجانب النفسي والفكري الذي يفكك الأسرة ويعطل مراكز القوة فيها، فالأمن الفكري يحمي فكر الأسرة وعقيدتها من الغلو والتطرف والخروج على المنهج.

1.2. تعزيز المفاهيم الإيمانية والأخلاقية داخل الأسرة:

أول شيء تثمره القيم الإيمانية هو البناء الشخصي للإنسان المسلم و تقوية صلته بالله تعالى إلى الدرجة التي تجعله يراقبه في كل حركاته وسكناته ، ومعنى ذلك أن المسلم في علاقته بربه، يستشعر الخشية والخوف منه، فالفرد في الأسرة حين يتشبع بالقيم الإيمانية يتحرر من الشعور بالخوف على الحياة، أو الخوف على الرزق، قال تعالى: " قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا" [التوبة: 51] .

يقول عماد الدين خليل : "إن التغيير الذاتي عملية شاملة تغطي الطاقات البشرية كافة : عقلية وروحية وأخلاقية وسلوكية وجسدية ..وأي تجزيء في الرؤية، أو الموقف، يقتل المحاولة في المهدي"¹¹ .

وهكذا يتضح لنا أثر البناء الذي تتركه القيم الإيمانية في إعادة صياغة الإنسان الحضاري داخل الأسرة، صياغة ربانية ينخرط بكل كيانه وطاقاته في رفع البناء الذي أمره الله برفعه، ومن أهم الآثار الإيجابية للقيم الإيمانية في صياغة الأسرة واعدادها الرسالي نذكر ما يلي:

2. 1. 1- قيمة التقوى :

هي القيمة العظمى التي تدور كل القيم حولها ، وهي قطب الرحي لجميع القيم الأخرى لقوله تعالى : " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" [الحجرات: 13] ، ذلك أن هذه القيمة لا تتبدل ولا تخضع للمقاييس الفردية ، فهي تعني الطاعة لله تعالى في جميع أوامره ونواهيه ، ولذلك كانت

وصيَّته عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل -رضي الله عنه- بتقوى الله وجعلها مستغرقة لكلِّ أحواله ومستحضرة في كلِّ شؤونه فقال: « **إِتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ** » وقال الذهبي : « فلا تقوى إلاَّ بعمل، ولا عمل إلاَّ بتروٍّ من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلاَّ بالإخلاص لله، لا يقال فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون التَّرك خوفاً من الله، لا يمدح بتركها؛ فمن داوم على هذه الوصيَّة فقد فاز »¹².

2. 1. 2- قيمة الالتزام :

وهي الانضباط التام بالامتثال للأوامر والنواهي الالهية ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: " ألا كلِّم راعٍ، وكلِّم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده ، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده ، وهو مسئول عنه، ألا كلِّم راعٍ، وكلِّم مسئول، عن رعيته"¹³ فالمسؤولية تبنى على الالتزام، ما قيمة الحكم إذا لم يلتزم بالعدل، وما قيمة العلم إذا لم يلتزم بالحق، وما قيمة الأستاذ والمعلم إذا لم يلتزم بالتربية والتعليم..وهكذا.

2. 1. 3- قيمة الإخلاص :

هناك رابطة وثيقة بين الالتزام والإخلاص ، فالالتزام يستلزم الإخلاص في النية والعمل ، فلا قيمة لعمل دون الإخلاص ، فقيمة الإنسان الملتزم بشرع الله أن يكون مخلصا في أعماله لينال الجزاء الأوفى حتى وإن لم يعلم به الناس وهذه مكانته، فعن أبي بَرزَةَ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ فِي مَعْزَى لَهُ فَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: "هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟". قَالُوا: نَعَمْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا . ثُمَّ قَالَ: "هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟" قَالُوا: نَعَمْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا. ثُمَّ قَالَ: "هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟". قَالُوا لَا. قَالَ: "لَكِنِّي أَفْقِدُ جُلَيْبِيًّا فَاطْلُبُوهُ". فَطَلَبَ فِي الْقَتْلِى، فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَوَقَّفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: "قَتَلَ سَبْعَةً ثُمَّ قَتَلُوهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ"¹⁴ ، فالمخلص إن لم يعلم به الناس يعلم به رب الناس، فيجب أن يكون الإنسان مخلصا أينما وجد وحيثما كان.

2. 1. 4 - قيمة المراقبة :

القيم السابقة تعد نتيجة حتمية لاستحضار رقابة الخالق تعالى، فبدون قيمة المراقبة لا يستطيع الإنسان الالتزام بالتقوى والإخلاص في الأعمال ، لأن المراقبة هي تعظيم الله-عز وجل- حق التعظيم ، كما ورد في حديث جبريل-عليه السلام- المشهور، حينما سأله عن الإحسان فقال: " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"¹⁵ وقال تعالى: " وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" [الحديد: 04] فقيمة المراقبة أن يستحضر العبد مشاهدة الله له في هذا الموقف وقربه له فينجز عن فعل المعصية ويقبل على طاعة الله ويتزين له بحسن العمل ظاهرا وباطنا كما يتزين المرء عند لقاء الأمير والله أجل وأعظم .

2. 1. 5 - قيمة تعظيم الله:

تعظيم الله تعالى هو نفسه عبادة ، بل من أعظم العبادات التي غفل عنها كثير من الناس ، وقد أنكر نوح عليه السلام على قومه استهانتهم بهذه القيمة العظيمة فقال تعالى : "مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا" [نوح: 13]، قال ابن عباس-رضي الله عنهما- في تفسيره للآية : لا تعظمون الله حق عظمته أي لا تحافون من بأسه ونقمته ، فالمؤمن الحق هو من يعظم الله تعالى وشعائره ، لأن قيمة التعظيم لله تعالى هي التي تعطي للقيم التبعية والإيمانية روحها وجلالها ، وتجعل العبادة مقبولة خالصة صحيحة تامة ، وبدون ذلك لا قيمة لها وتصبح مجرد رياء وجسد بلا روح .

2.2 - آليات تفعيل القيم الإيمانية والأخلاقية في الأسرة والمجتمع:

يمكن أن نستنبط تلك الآليات من المنهج النبوي، من خلال سيرة النبي في تربيته لأصحابه حيث كان اهتمامه منصبا على التربية الإيمانية وترسيخ قيمها لبناء عقيدة متينة وراسخة لا تتزعزع ، وكان يتعاهد أصحابه الكرام بأساليب تربوية تعليمية بليغة رائعة، ومن أبرزها نذكر ما يلي :

أولا : تعليمه القيم بالتدرج : فكان يراعي التدرج في التعليم، يقدم الأهم فالأهم ، شيئا فشيئا ، ليكون أقرب للتناول، وأثبت للحفظ والفهم، فقد روي عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه

قال: (كنا مع النبي ﷺ ونحن فتیان حَزَاوِرَةَ* فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيماناً) ¹⁶ وهذا يعني التدرج في المنهجية بتقديم الأهم فالأهم ليكون أثبت على القلب حفظاً وفهماً.

ثانياً : تعليمه بالقدوة الحسنة : التعليم بالفعل والعمل أقوى وأوقع في النفس وأعون على الحفظ والفهم, ولذلك مدحه القرآن بقوله تعالى: " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب:21] و عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِغُلَامٍ يَسْلُخُ شَاةً ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (تَنَحَّ حَتَّى أُرِيكَ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ بَيْنَ الْجِلْدِ ، وَاللَّحْمِ ، فَدَحَسَ بِهَا حَتَّى تَوَارَتْ إِلَى الْإِبْطِ ، ثُمَّ مَضَى ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ ، وَلَمْ يَتَوَضَّأْ) ¹⁷ وبهذا يغرس قيمة روح التعاون والرحمة .

ثالثاً : تعليمه بالموعة والعبرة : للموعظة الأثر البالغ في نفسية المتلقي ، وكان النبي ﷺ يستخدم الموعظة مع أصحابه كما ذكر عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال : كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعة في الأيام كراهة السامة علينا) ¹⁸

رابعا : تعليمه بالحوار والمساءلة: حيث كان يبادر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم بِأَسْئَلَةٍ أَوْ مَشْكَالَةٍ تَبْحَثُ عَنْ إِبْطَةِ الْعِلْمِ وَيَلْفَتُ أَتْبَاهَهُ ، ، ويصقل فكره للبحث عن جواب يناسب السؤال ، ويشوقه إلى معرفة الجواب بعد أن يعجز عن الإجابة الصحيحة ، وهذا من شأنه أن يعود طالب العلم على حل المشكلات ، وبذلك يغرس فيه قيمة فكرية عظيمة تقوي شخصيته العلمية .

خامساً : مراعاة الفروق الفردية : فقد كان ﷺ شديد الحرص على ذلك بين السائلين, فكان يخاطب كل واحد منهم على قدر فهمه وبما يلائم منزلته ، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت ، قال رسول الله : أنزلوا الناس منازلهم) ²⁰ ومما يؤكد هذا الحديث ما ثبت في السيرة النبوية ، حينما دخل النبي ﷺ مكة فاتحاً قال (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن) ²¹ وهذا لمنزله عند قومه، و

كان يخاطب الناس على قدر عقولهم ، ويوصي الصحابة رضي الله عنهم بالتيشير على الناس ومخاطبتهم بما يفهمون .

إلى غير ذلك من التعاليم النبوية التي تصلح أن تكون آليات فاعلة في الأسرة والمجتمع، وخير منهج يمكن الاهتداء به في تربية الأسرة وتحسينها للمحافظة على أمنها.

3.2.1- المعوقات وسبل تجاوزها:

إذا كنا قد تحدثنا عن مفاهيم ومبادئ القيم الإيمانية ،ومجالاتها وسبل تعزيزها في المنظومة الأسرية والمجتمعية، فإننا حين نحاول تطبيقها في الواقع ، تواجهنا كثير من المعوقات والصعوبات التي تحول دون تطبيق هذا المشروع الحضاري، ويمكن أن نلخص بعض هذه العقبات فيما يلي :

1- غياب إدارة ، تخطط لسياسة التأصيل والتعميد لجميع ميادين المعرفة بالمؤسسات التربوية، حيث نجد أغلب المشاريع الناتجة عن الملتقيات أو المنشورات، أو مشاريع مخابر بحثية علمية ورسائل جامعية، نجدها بعيدة عن التطبيق الميداني ، ولو من باب التجارب المحدودة .

2- غياب الوعي في المحيط التربوي بأهمية المشروع، وهذا ينتج عنه غياب التحفيز اللازم والدوافع الكافية للإنجازات والتضحيات، واستحضار روح المبادرة، التي هي سر من أسرار نجاح المشروع.

3- اجتياح العولمة وتأثيرها في الإعلام والثقافة والتربية، من خلال التأثير في المفاهيم الحضارية والقيم الثقافية والأنماط السلوكية للأفراد، وربطهم بدوائر محدودة تدور في فلك معين، وهذا النمط من التفكير والألية الحركية ، يعيق بشدة تطبيق المشروع والفاعلية في الحركة.

4- لا يمكن أن نغفل عن دور الإعلام في تفعيل وتسريع المشروع، وتبني المجتمع للأفكار الصادرة عن الإعلام بكل أنواعه، والواقع مع الأسف يثبت أن الإعلام العربي بشكل عام لا يخدم مصالح المجتمعات في الأغلب.

5- عقبه الجمود الفكري والتعصب المذهبي، كما يقول عمر سليمان الأشقر: (والذي زاد الطين بلّة: جمود المتفكّهة المفتين والمعلمين والواعظين على نصوص كتب متبوعيهما المتأخرين، بدون تبصّر وإعمال روية، ورجوع إلى أصول الشريعة وأقوال السلف، وجهلهم بمقتضى الزمان وال عمران، ونفورهم من كل جديد بدون أن يزنوه بميزان الشريعة، ومناوأهم المجددين بدون إصغاء إلى براهينهم..)²².

6- تبني كثير من المثقفين فكرة أن أحكام الدين الإسلامي تناقض الحضارة والمدنية ، فكثير ممن قرأ للمؤرخ البريطاني أرنولد توينبي حول الإسلام والغرب قد اقتنع بقوله : (تغربوا في كل شيء ، وحاربوا المتعصبين ، فهم العائق الوحيد في طريق التقدم ، والسبب الأكيد في جهلكم وتأخركم)²³.

7- تعدد التيارات الفكرية الحديثة المعادية للعقيدة الإسلامية ، كما يقول مناع القطان: (وقد تميز الصراع العقدي الفكري في العصر الحديث بالتفنن في أساليبه ووسائله ، وكثرة شعبه ومذاهبه، وسرى تياره من بلد لآخر، يمهّد الطريق للسيطرة والنفوذ.. والحرب العقديّة الفكرية أشدّ ضراوة من الحرب العسكرية، لأنها تسلب النفوس، وتقضي على الأرواح، وتهدم القيم.)²⁴

ويمكن أن نتخلص من هذه المعيقات وغيرها ، عندما تبذل الجهود الكافية وتتوافر الإرادة المطلوبة للتعامل مع البحوث على أساس من الجدوية في العمل والاهتمام لإبراز دور القيم الإيمانية والأخلاقية والتي استمدت قداستها من الوحي .

2.2.2- سبل تجاوز المعوقات :

- 1- الصدق والاخلاص مع الله تعالى في حل المشكلات لنستمد منه تعالى القوة الإيمانية التي نستطيع بها أن نواجه كل المعوقات، مع العمل الجاد الدؤوب والصبر على مواجهة الصعاب
- 2- التعاون من أجل التوعية بخطورة أساليب عرقلة المشاريع الخيرية لتعزيز القيم الإيمانية والأخلاقية.

- 3- وضع استراتيجية اعلامية وتربوية منسجمة وتطبيقها للحد من هذه المعوقات .
- 4- ظهور الآباء والمربين والمسؤولين بمظهر القدوة والمثل الصالح .
- 5- تسخير الانترنت والقنوات في تنمية الوعي .
- 6- تعتبر أساليب الحوار والقصة والإقناع العقلي من أنجح الأساليب التربوية في الوصول إلى نتيجة إيجابية مع الشباب.
- 7- محاولة اقناع الأطفال و الشباب للتحرر من التقليد الأعمى للآخر مهما كان مصدره ، والاهتمام بالإبداع والابتكار .

الخاتمة:

إننا حين نحافظ على أمن الأسرة، ونحصنها من التهديدات المعاصرة التي تستهدفها مباشرة، فإننا نضع الأسس والأركان لبناء الحضارة الإنسانية الرشيدة، التي تركز على منهجين أساسيين وهما: المنهج الإيماني المنهج الأخلاقي فهما صمام أمان الأسرة والمجتمع والأمة، ولذلك فقد تم التركيز عليهما من خلال هذا البحث، والذي بينت فيه أهم المفاهيم المتعلقة بالقيم الإيمانية والأخلاقية ودورها في تحصيل الأسرة والحفاظ على أمنها وهويتها، وذلك من خلال الحديث عن الآليات والسبل التي يمكن أن تعزز تفعيل القيم الإيمانية والأخلاقية في الواقع الأسري والمجتمعي، وقد استعرضت بعض المعوقات التي يمكن أن تواجهنا أثناء تطبيق المشروع، حيث اقترحت السبل الممكنة لتجاوزها. ويمكن أن نلخص أهم نتائج البحث واقتراحاته فيما يلي:

1. التركيز عند التوعية والتثقيف بأهمية الحفاظ على أمن الأسرة لأنها صمام أمان صلاح المجتمع
2. ضرورة الترشيد الأمثل لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي داخل أفراد الأسرة
3. عقد برامج تدريبية متخصصة بتوعية الأبوين ودورها في تماسك الأسرة.

4. مطالبة وزارة التعليم والتربية بإقرار مادة عن ثقافة الأسرة ومسئولياتها.
5. وضع استراتيجيات وسياسات أسرية واضحة يتبناها المجتمع ويلتزم بها.
6. اجراء دراسة تقييمية سنوية لمدى نجاح المشاريع، وتجنب الخطوات السلبية .
7. استغلال المناسبات والأعياد الدينية، مثل شهر رمضان باجراء تحفيزات ومسابقات تتعلق بتطبيق القيم الإيمانية والأخلاقية داخل الأسرة وخارجها
8. محاولة اشراك أفراد الأسرة من الأطفال والشباب في المناسبات العلمية والثقافية لأخذ القدوة من العلماء والمصلحين والكتاب والمثقفين.
9. ضرورة تنوع الأساليب التربوية المادية والمعنوية لتعزيز القيم الإيمانية وفق المنهج القرآني والنبوي
10. إنشاء مواقع هادفة تتعلق بالقيم الإيمانية والأخلاقية، والإشارة إليها في الملتقيات والقنوات وفي الكتب من أجل لفت انتباه الشباب للدخول إليها والاستفادة منها.

المصادر والمراجع:

1. الفيروز آبادي، أبو طاهر مجد الدين، القاموس المحيط ، دار الحديث (القاهرة، 2008).
2. ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر (بيروت، 1979)، ط:2.
3. الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة (بيروت ، ب،س).
4. ابن منظور، مُجَدُّ أبو الفضل، لسان العرب، دار صادر(بيروت،ب،س).
5. مُجَدُّ الرازي الحنفي، مختار الصحاح، دار المشاريع(لبنان، 2004)
6. الفيومي المقرئ، المصباح المنير، المكتبة العصرية (بيروت، 1996) ط:1
7. أحمد بدوي، معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية، مكتبة لبنان (بيروت، 1982م)

ط:1

8. مُجَّد التبريزي، مشكاة المصابيح، المكتب الإسلامي (بيروت، 1985م) ط:3.
9. الفاروقي، إسماعيل راجي، التوحيد، مدارات للأبحاث والنشر (بيروت، 1982م) ط:1
10. عماد الدين ، خليل ، العقل المسلم والرؤية الحضارية، دار النصر (القاهرة، 1983)
11. الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1982) ط: 2.
12. البيهقي ، أحمد أبو بكر، شعب الإيمان، مكتبة الرشد (الرياض، 2003) ط:1.
13. الألباني، مُجَّد ناصر الدين، صحيح الجامع، المكتب الإسلامي (بيروت، 1988م) ط:3.
14. 14. الألباني ، مُجَّد ناصر الدين، صحيح ابن ماجه ، مكتبة المعارف (الرياض: 1997) ط:1 .
15. مُجَّد بن مُجَّد، المالكي، مجمع الزوائد من جامع الأصول، دار ابن حزم (بيروت، 1998م).
16. بدر الدين الدماميني ، مصابيح الجامع ، وزارة الأوقاف (قطر، ب،س) مج :1، كتاب العلم، حديث:68
17. أبو داود سليمان، سنن أبي داود ، بيت الأفكار (الرياض ، ب، س)، رقم الحديث: 5842
18. عمر سليمان الأشقر ، معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، دار نفائس (الأردن، 1992) ط:1
19. مناع القطان، معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، مكتبة وهبة (القاهرة، 1991) ط:1

الهوامش:

- 1 - الفيروز آبادي، أبو طاهر مجد الدين، القاموس المحيط ، دار الحديث (القاهرة، 2008)، ص: 1383
- 2 - ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر (بيروت، 1979)، ج:5، ط:2، ص: 43.
- 3 - الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة (بيروت ، ب،س) ص: 416 - 417
- 4 - ابن منظور، مُجَّد أبو الفضل، لسان العرب، دار صادر (بيروت، ب،س) ج: 5، ص: 399
- 5 - ابن منظور ، لسان العرب ، نفسه، ص: 406

- 6 - مُجَدِّدُ الرَّازِي الحنفي، مختار الصحاح، دار المشارع(لبنان، 2004) ، ص: 51
- 7 - الفيومي المقرئ، المصباح المنير، المكتبة العصرية (بيروت، 1996) ط:1، ص: 18
- 8 - أحمد بدوي، معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية، مكتبة لبنان(بيروت، 1982م) ط:1، ص: 56
- 9 - مُجَدِّدُ التبريزي، مشكاة المصابيح، المكتب الإسلامي (بيروت، 1985م) ط:3، ج:1، ص: 10
- 10 - الفاروقي، إسماعيل راجي، التوحيد، مدارات للأبحاث والنشر (بيروت، 1982م) ط:1، ص: 119
- 11 - عماد الدين ، خليل ، العقل المسلم والرؤية الحضارية، دار النصر (القاهرة، 1983) ، ص: 44
- 12 - الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1982) ط: 2 ، ج: 4، ص : 601
- 13 - مُجَدِّدُ التبريزي، مشكاة المصابيح، المكتب الإسلامي (بيروت، 1985م) ط:3، ج:2، ص:1090
- 14 - البيهقي ، أحمد أبو بكر، شعب الإيمان، مكتبة الرشد(الرياض، 2003) ط:1، ج:3، ص:114
- 15 - الألباني، مُجَدِّدُ ناصر الدين، صحيح الجامع، المكتب الإسلامي (بيروت، 1988م) ط:3، مج:1، ص: 535
- * وهو الذي قارب البلوغ.
- 16 - الألباني ، مُجَدِّدُ ناصر الدين، صحيح ابن ماجة ، مكتبة المعارف(الرياض: 1997) ط:1، ج: 1، ص: 37
- 17 - مُجَدِّدُ بن مُجَدِّدِ، المالكي، مجمع الزوائد من جامع الأصول، دار ابن حزم (بيروت، 1998م)، ج:1، ص:76
- 18 - بدر الدين الدماميني ، مصابيح الجامع ، وزارة الأوقاف(قطر، ب،س) مج :1، كتاب العلم، حديث:68 ، ص: 191
- 19 - التبريزي ، المشكاة، السابق ، ج: 3 ، ص: 1418
- 20 - أبو داود سليمان، سنن أبي داود ، بيت الأفكار (الرياض ، ب، س،) رقم الحديث: 5842 ، ص: 526
- 21 - التبريزي ، المشكاة، السابق ، ج: 3 ، ص: 1761، رواه مسلم في صحيحه: رقم الحديث 1780 ، ص: 740
- 22 - عمر سليمان الأشقر ، معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، دار نفائس(الأردن، 1992) ط:1، ص : 71
- 23 - عمر سليمان الأشقر ، السابق ، ص: 76 .
- 24 - مناع القطان ، معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية ، مكتبة وهبة(القاهرة، 1991) ط: 1 ، ص: 27

